

الصورة الأدبية في أعمال إيفان تورجنيف

=====

يولي تورجنيف في رسمه لصورة أبطاله الفنية اهتماما كبيرا للحركة والإيماءة وسلوك الأبطال أكثر من إهتمامه بالوصف الجامد لشكل البطل الخارجي ، حيث أن الوصف الجامد لأجزاء الصورة يمكن أن يعطي فكرة عن الشيء دون أن يتطرق إلى جوهره أو يوضحه.

ومن دراستنا للصورة الفنية لأبطال تورجنيف نلاحظ ثراء وتميز الكاتب في رسم صور أبطاله ، الأمر الذي أصبح سمة لأسلوبه ، فضلا عن أن أسلوبه في رسم الصورة الفنية قد تطور طبقا لوضع البطل الاجتماعي و الفكري والنفسي وشخصية الراوي وكذلك دور الصورة في العمل الأدبي باعتبارها وسيلة لفهم الشخصية وتوضيح أبعادها ووسيلة لإظهار علاقة المؤلف بالبطل.

تتنوع صور الشخصيات: صور متميزة لرجال ونساء ، صور لشخصيات في مراحل العمر المختلفة ، كما يتسع نطاق صور الأبطال من حيث الوضع الاجتماعي حيث يشغلون درجات مختلفة من السلم الاجتماعي: فنجد صورة النبيل من العاصمة والإقطاعي من الأقاليم وصورة الموظف والمتق وصور مالك الأرض والفلاح المعدم.

يحاول تورجنيف رسم صورة كاملة ودقيقة لأبطال روايته سواء كانوا أساسيين أو ثانويين ، ولا يعتمد كمال الصورة ودقتها على مكان البطل في الرواية ولا على نوعية الشخصية (إيجابية أو سلبية) ولكن على تطور الشخصية ووضوحها.

تتميز الصورة عند تورجنيف بثراء وسطوع الألوان واتساع مدى تفاوت الظلال والألوان الرئيسية والثانوية التي تعكس حالة الأبطال الداخلية في لحظات حياتهم المختلفة.

يتمتع تورجنيف بمهارة خاصة في اختيار التفاصيل الأكثر تأثيرا عند رسمه للصورة والتشبيهات والأوصاف التي تخلق لدى القارئ إنطباعا بحقيقة الشخصية.

يعتمد تورجنيف في رسمه للشكل الخارجي للشخصية على مصادر مختلفة ووجهات نظر متعددة: الموقف الموضوعي للمؤلف ومن جانب الشخصيات الأخرى في الرواية ، وتكون الصورة أحيانا مرتبطة إرتباطا مباشرا بشخصية الراوي والحالة النفسية في لحظة الوصف ، وبهذا لا يكتفي تورجنيف بتقديم وصف كامل لشكل وشخصية البطل ولكنه يصور علاقة الأبطال الآخرين بهذه الشخصية وهو ما يعطي بدوره وصفا لشخصيتهم ، كما يوضح علاقة المؤلف بأبطاله ويبين وجهة نظره السياسية والجمالية ويعطي تصورا عن آراء الكاتب.

تطورت مهارة تورجنيف في رسم صورة أبطاله فبعد أن كانت الصورة تتميز بجمود الوصف في "مذكرات صياد" فإن صورة شخصياته في الروايات التي كتبها في خمسينات القرن الماضي تتميز بالحركة والمرونة.

يعطي تورجنيف عادة في بداية السرد صورة مختصرة تعطي تصورا عاما عن الشخصية وتحدد نظام العلاقة بين الأبطال وتطور أحداث الرواية. وبعد ذلك ومع تطور الأحداث وعند محاولته تصوير الحياة الداخلية يوزع الكاتب عناصر الصورة على السرد كله ويؤكد بها بحالات البطل النفسية والعاطفية ، وهكذا فإن تفاصيل الصورة وجزئياتها المميزة تنقل حياة البطل الداخلية دائما التغيير ، كما أن الكاتب يعطي إحياءا بتطور الشخصية وذلك عن طريق مزج عدد من رسومات الصورة طبعا لمراحل الحياة المختلفة.